ألف حكاية وحكاية (٧٣)

منقار لا يفتت الخبز الجاف

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشارونى



رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

منقار لا يفتت الخبز الجاف

تحتَ مظلَّةِ المطعمِ المصنوعةِ من سعفِ النخيلِ ، وقفْنا نتناولُ إفطارَنا ، قبلَ أن ننطلقَ إلى مياهِ شاطئِ المدينةِ الساحليةِ ، التى أطلقوا عليها اسمَ " مدينة المياه الصافية ". وهى حقًّا أهدأُ مياهٍ على طولِ شواطئِ شبهِ جزيرةِ فلوريدا ، التى تمتدُّ آلافَ الكيلومتراتِ .

ومن فوقِ النجيلِ الذى يُغطِّى الحديقةَ حولنا ، اقتربَ طائرٌ رشيقٌ ، يرفعُ رأسَهُ فى اعتدادٍ ، ويخطو بساقَيْهِ الرفيعتَيْنِ على مَهَلٍ .

وتَطلَّعَ إلينا وهو يمدُّ نحوَنا منقارَهُ الطويلَ . وفهِمْنا أنه يطلبُ مشاركتَنا الطعامَ ، فألقَيْنا إليه قطعةً كبيرةً من الخبزِ المُحمَّصِ (التوست) .

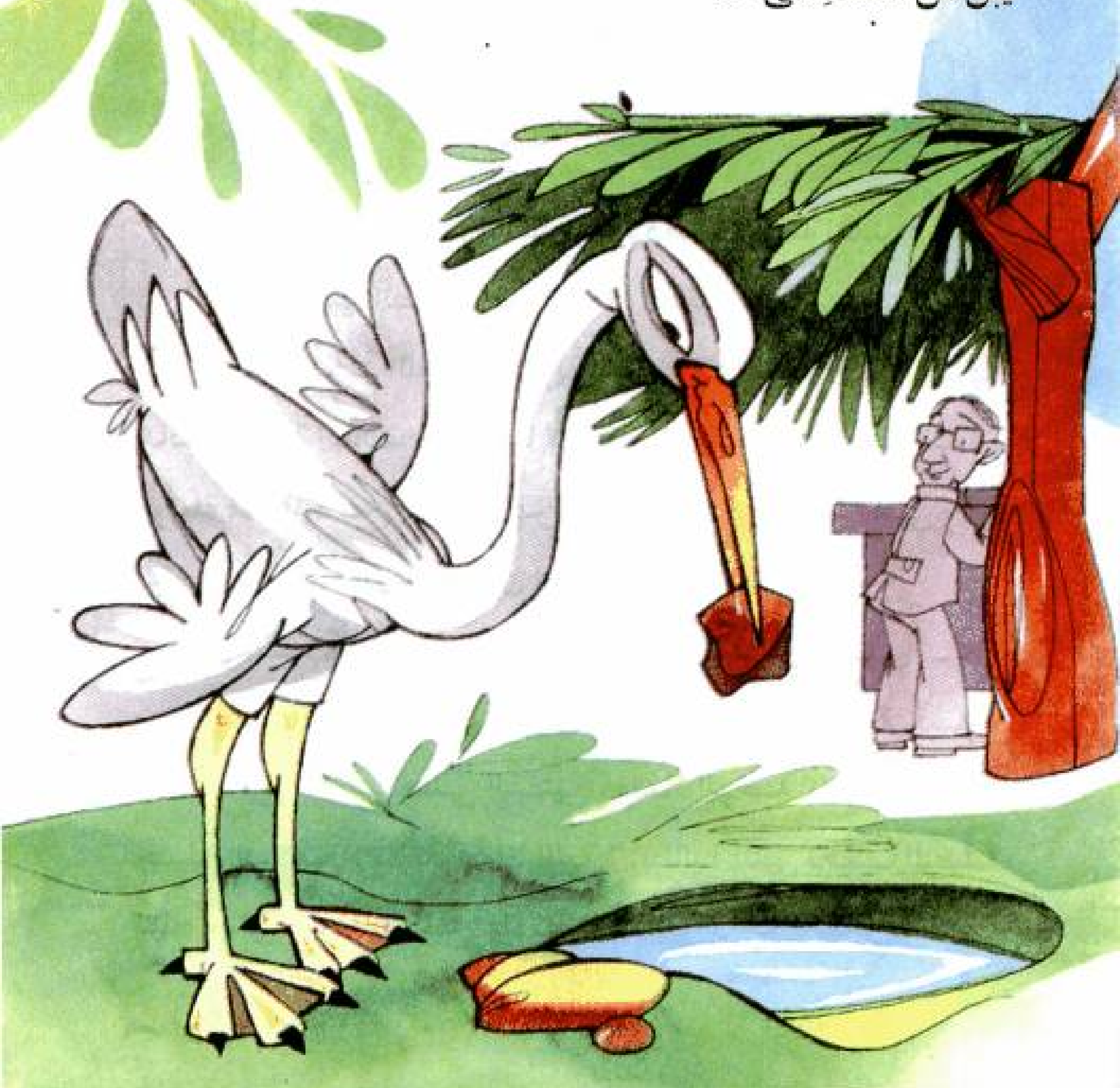
و فى خطواتٍ ذكَّرتْنى براقصاتِ الباليه ، اقتربَ الطائرُ من قطعةِ الخبزِ ، والتقطَها بمنقارِهِ ، لكنه اكتشفَ صلابتَها ، فأعادَها إلى الأرضِ ، وظلَّ ينقرُها ، فلم تتفتَّتْ . وهكذا تأكَّدَ أنها أكبرُ وأكثر صلابةً من الأسماكِ التى اعتادَ أن يتعاملَ معها بمنقارِهِ .

وتوقَّعْتُ أن يتركَ تلكَ اللقمةَ غيرَ المناسبةِ ، وهو ما يفعلُهُ عادةً غيرُهُ من الطيورِ . لكنَّ هذا الطائرَ أمسكَ بمنقارِهِ طرفَ قطعةِ الخبزِ الجافَّ الكبيرةِ ، وانطلقَ يخطو بها بعيدًا عنَّا .

وراقبْتُهُ فى دهشةٍ ، وأنا أتساءلُ عمّا سيفعلُ بها .

وبعدَ لحظاتٍ ، وجدْتُهُ يُغطّسُ منقارَهُ وبه الخبزُ ، فى حفرةٍ صغيرةٍ امتلأتْ بالماءِ الذى يروى الحديقةَ .

ثم رفعَ قطعةَ الخبزِ بعدَ لحظاتٍ وقد أصبحَتْ ليِّنَةً ، فاستطاعَ أن يفتّتَها بسهولةٍ بطرفِ منقارِهِ ، ثم تَناولَها قطعةً بعدَ أخرى ، حتى لم يبقَ من الفتاتِ شيءٌ !!



ابتسامة



فى زيارةٍ لمدينةِ بولونيا بإيطاليا ، ذهبَتْ زميلةٌ لتشترِىَ زوجًا من الأحذيةِ لابنِها الصغيرِ . وفى المحل الصغيرِ الأنيقِ ، قابلَتْها بائعةٌ فائقةُ الجمالِ تُجيدُ اللغةَ الإنجليزيةَ التى تعرفُها الزميلةُ جيدًا ، لكنها كانَتْ صارمةَ الملامحِ ، وجهُها لا يعرفُ الابتسامَ . وعندما طلبَتِ الزميلةُ مشاهدةَ نوعٍ بعدَ آخرَ من الأحذيةِ ، ظهرَ الضيقُ على وجهِ البائعةِ ، ثم تشاغلَتْ عنها بزبونٍ آخرَ .

وغضبَتِ الزميلةُ ، واعتزمَتِ الخروجَ بغيرِ أن تشترِىَ شيئًا . وعندَ البابِ ، قابلَتْها بائعةٌ أخرى .. لا .. بل قابلَتْها ابتسامةٌ رقيقةٌ .. ابتسامةٌ فى العينَيْنِ وعلى الشفتَيْنِ ، وتملأُ الوجهَ كلَّهُ .. لم تكنْ جميلةَ الملامحِ ، ولا تعرفُ إلا اللغةَ الإيطاليةَ التى تجهلُها الزميلةُ تمامًا ، لكنَّ هذه الابتسامةَ أعادَتْ زميلتَنا إلى داخلِ المحلِّ .

وتقدَّمَتِ البائعةُ صاحبةُ الابتسامةِ من الزميلةِ ، تسألُها بالإيطاليةِ عن طلبِها . وفى الحالِ تبدَّدَ غضبُ الزميلةِ . ورغمَ حاجزِ اللغةِ ، تمَّ التفاهمُ . وأشارَتِ الزميلةُ إلى نافذةِ العرضِ ، تحدِّدُ ما تُريدُ .

وبعدَ نصفِ ساعةٍ ، كانَتْ قد اشترَتْ لابنِها ثلاثةَ أزواجٍ من الأحذيةِ ، لا زوجًا واحدًا !!





استقرَّتِ البطةُ الخشبيةُ فوقَ " ياى " منَ الحديدِ القوىِّ الملتفِّ حلزونيًّا ، ليجلسَ عليها صغارُ الأطفالِ ، يتمتّعونَ باللعبِ فى أمانٍ ، واللعبةُ تهتزُّ بهم فى رفقٍ إلى الخلفِ وإلى الأمامِ .

مطار استكهولم

غرفة أنشطة الأطفال

واقتربَتْ صبيةٌ في الثامنةِ من عمرِها ، وقد أعجبَتْها اللعبةُ التي وجدَتْها في القاعةِ الخاصة بأنشطةِ الأطفالِ في مطارِ استكهولم الدوليِّ ، وفي نفسِ الوقتِ وجدَتْ أن اللعبَ بها أقلُّ كثيرًا من مستوى سنِّها . ومع ذلك رأيْتُها تتقدَّمُ ناحيةَ اللعبةِ .

وبدلاً من أن تجلسَ عليها ، بدأتْ في محاولةِ الوقوفِ فوقَها . وكلما حاولَتْ ، زادَ الاهتزازُ ، وتزايدَ خطرُ السقوطِ . وبعدَ عدةِ محاولاتٍ ، وقفَتِ الصبيةُ مبتسمةً في انتصارٍ ، وقد فردَتْ ذراعَيْها عن آخرِهما ، لتحفظَ توازنَها فوقَ تلك القاعدةِ المُهتزَّةِ .

وأعجبَتْها لعبةُ التوازنِ ، فبدأتْ تضغطُ بقدمَيْها ليزدادَ الاهتزازُ ، فازدادَ تمايلُها ، وزادَ مجهودُها لحفظِ توازنِها . لكنْ عندما أصبحَ الاهتزازُ أقوى مما تستطيعُ احتمالَهُ ، قفزَتْ ضاحكةً إلى الأرضِ .

ولم أكنْ وحدي الذي شاهدَ تلك المحاولةَ ، لذلك سرعانَ ما كانَ هناكَ طابورٌ من الأطفالِ ، كلُّ واحدٍ منهم يحاولُ اختبارَ مدى قدرتِهِ على حفظِ توازنِهِ لأطولِ وقتٍ ممكنٍ فوقَ تلك البطةِ الهزَّازةِ ، التي ابتكروا لأنفسِهم أسلوبَ لعبٍ عليها ، لعلَّهُ لم يخطرْ أبدًا على فكرِ مَنِ ابتكرَها .




حمام سباحة فى حجم كرة القدم

حفرةٌ صغيرةٌ وسطَ نجيلٍ أخضرَ ، يفترشُ حديقةَ القريةِ السياحيةِ على أحدِ شواطئِ ميامى بفلوريدا الأمريكيةِ .. الحفرةُ يصبُّ فيها أنبوبُ الماءِ العذبِ الذى يروى الحديقةَ .

وحولَ حافةِ الحفرةِ ، وقفَ ثلاثةُ عصافيرَ متوسطةُ الحجمِ ، مدَّ كلٌّ منها منقارَهُ وشربَ .

ثم قفزَ أوَّلُها وسطَ الماءِ القليلِ الذى يملأ الحفرةَ ، وغطسَ ، ثم ظهرَ على سطحِ الماءِ ، ونفضَ ريشَهُ . ثم عاودَ الغطسَ والاستحمامَ ، ونفضَ الماءَ ، بينما زميلاه يرقبانِهِ . وأخيرًا قفزَ مُنتعِشًا إلى حافةِ الحفرةِ .

بعدَهُ قفزَ زميلُهُ الطائرُ الثانى ، واستمتعَ بحمَّامِهِ فى بحيرةِ الماءِ الصغيرةِ جدًّا ، والتى لا تتسعُ إلا لطائرٍ واحدٍ ، ونفضَ ريشَهُ ثلاثَ مراتٍ ، ثم قفزَ نشيطًا إلى الشاطئِ .

وبعدَها نزلَ الثالثُ ليأخذَ دورَهُ سعيدًا بالماءِ الدافئِ . ثم انطلقَتِ الطيورُ الثلاثةُ تحلّقُ طائرةً معًا .



سألتُ نفسى : " كيف اتفقَتْ هذه العصافيرُ الثلاثةُ على هذا النظامِ الدقيقِ فى الاستمتاعِ بالاستحمامِ واحدًا بعدَ الآخرِ ، لا يزاحمُ أحدُ زميلَهُ ، وكلٌّ منهم ينتظرُ دورَهُ ؟ وكيف أدركَتْ منذ البدايةِ ، أنه إذا زاحم أحدُهم الآخرَ ، فلن يستمتعَ أيٌّ واحدٍ منهم بالاستحمامِ فى البحيرةِ التى لا يزيدُ حجمُها عن حجمِ كرةِ القدمِ ؟ "

ست ساعات فى مطار

طفلٌ فى الثالثةِ وطفلةٌ فى الخامسةِ ، تطلبُ منهما أمُّهما مراتٍ مُتعدِّدةً أن يجلسا بجوارها ، لكنها تكتشفُ فى كلِّ مرةٍ ، بعدَ لحظةٍ واحدةٍ ، أنهما انطلقا يجريانِ بين مقاعدِ المُسافرينَ ، فى إحدى قاعاتِ الانتظارِ بمطارِ استكهولم الكبيرِ .

كانَتْ أمامَها ستُّ ساعاتِ انتظارٍ طويلةٍ ، قبلَ أن يحينَ موعدُ الطائرةِ التى ستسافرُ بها إلى أمريكا ، بعد أن وصلَتْ من مصرَ منذُ ساعةٍ . وظهرَ عليها الضيقُ ، لكثرةِ ما طاردَتِ الصغيرَيْنِ فى الممراتِ وبينَ المقاعدِ وحولَ أرجلِ المُسافرينَ .



واقتربَتْ منها فتاةٌ رشيقةٌ ، ترتدى زيَّ المُضيفاتِ الأرضياتِ العاملاتِ بالمطارِ ، وقالَتْ لها فى ابتسامةٍ رقيقةٍ : " لماذا لا تذهبينَ بهما إلى غرفةِ أنشطةِ الأطفالِ ؟ "

ثم أشارَتْ إلى بابٍ حولَهُ رسومٌ جذَّابةٌ لأطفالٍ يلعبونَ ، وقالَتْ : " إنها هناك . "

وأمسكَتِ الأمُّ بأيدى طفليها ، وانطلقَتْ مُسرِعةً إلى غرفةِ " أنشطةِ الأطفالِ " .

واندفعَ الصبىُّ إلى لوحةٍ خضراءَ مُعلَّقةٍ على الجدارِ ، أمامَها رفٌّ به قِطَعٌ من الألوانِ المختلفةِ ، وانطلقَ يرسمُ .

أما الطفلةُ ، فتسلَّقَتْ سُلَّمًا من درجتَيْنِ ، لتنزلقَ على " الزحليقة " المحدودةِ الارتفاعِ .

ومن حولِهم ، رأيْتُ عشراتِ الأطفالِ يرسمونَ ، أو يبنونَ البيوتَ بقطعِ المُكعَّباتِ أو يشاهدونَ أفلامَ الأطفالِ على شاشةِ تليفزيون كبيرةٍ ، أو يتحكَّمونَ فى آلاتِ كمبيوتر تعملُ بمُجرَّدِ لمسِ الأصابعِ للشاشةِ .



وهكذا أحسَّتِ الأمُّ أخيرًا بالراحةِ .

عندما تلتصق بالمقعد !!

ماذا تفعلُ إذا وجدْتَ نفسكَ قد التصقْتَ في مقعدٍ جلسْتَ عليه ، بسببِ قطعةِ " لبان " ، تخلّصَ منها شخصٌ آخرُ ؟ هذا هو السؤالُ الذي واجهَ المسئولينَ في إحدى شركاتِ الطيرانِ الأمريكيةِ الشهيرةِ .



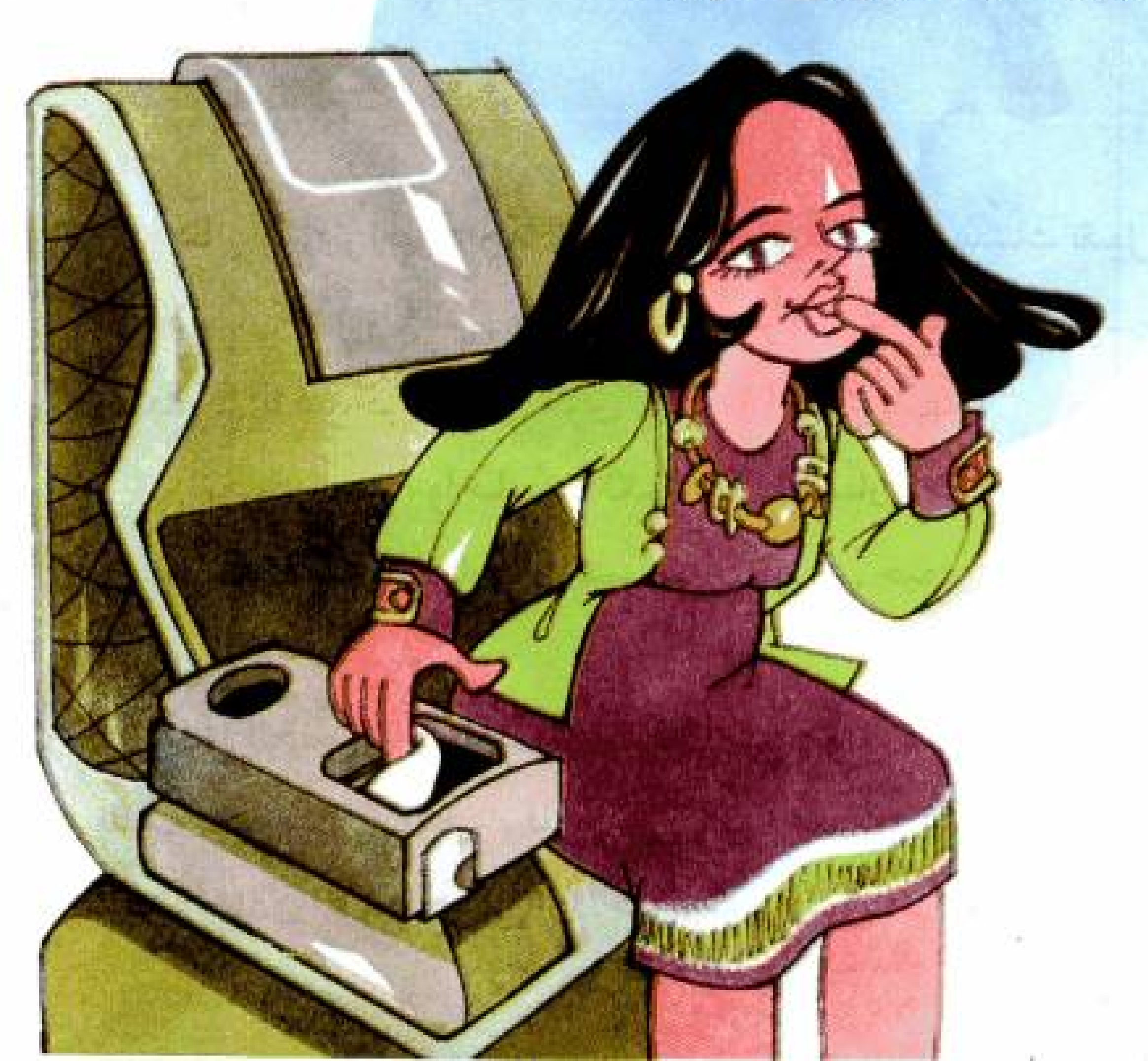
لذلك لجأتْ إلى الخبراءِ الذين يستطيعونَ حلَّ هذه المشكلةِ .. لقد ذهبَتْ إلى الأطفالِ .

وفي إحدى المدارسِ الابتدائيةِ ، طرحَتْ على التلاميذِ السؤالَ التالِيَ : " هل تستطيعُ اختراعَ وسيلةٍ ، تجعلُ الناسَ يتوقّفونَ عن لصقِ قطعِ اللبانِ أسفلَ مقاعدِهم داخلَ الطائراتِ ؟ "

وتوصَّلَ صبِىٌ عمرُهُ ١١ سنةً إلى الحلِّ الذى فازَ بالجائزةِ الأولى . لقد اقترحَ إعدادَ مكانٍ فى ذراعِ المقعدِ ، يسحبُ منه الراكبُ قطعةَ قماشٍ رقيقةً ، يلفُّ بها قطعةَ اللبانِ ، ثم يضعُ اللفافةَ فى ثقبٍ صغيرٍ مجاورٍ ، كأنه صندوقُ قمامةٍ صغيرُ الحجمِ .

وقالَ المُخترِعُ الصغيرُ : " إن مَنْ يرتكبونَ الخطأ ، يفعلونَ ذلك لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلونَ بقطعِ اللبانِ التى يريدون التخلُّصَ منها . "

وقد " التصق " حلُّ الصبِىِّ بخطط شركةِ الطيرانِ ، التى تبحثُ الآن إمكانيةَ تنفيذِهِ فى طائراتِها .



رؤية جديدة لأشياء قديمة : أنا حر !!



سألَ الشاطرُ أمين ، جدَّهُ الحكيمَ عبدَ المعينِ : " سمعْتُكَ تقولُ إن الإنسانَ حرٌّ ، لكنّني حاولْتُ أن أسيرَ بسرعةِ الحصانِ ، فلم أستطعْ .. أنا غيرُ حرٍّ فى أن أجرِيَ بالسرعةِ التى أريدُها !! "

ضحِكَ الجدُّ ، وأجابَ : " لكنَّ عقلَ الإنسانِ اخترعَ السيارةَ والقطارَ ، فاستطاعَ الإنسانُ أن يسيرَ أسرعَ من أىِّ حيوانٍ ظهرَ على الأرضِ !! "

قالَ الحفيدُ : " وحاولْتُ أن يسمعَ أخى صوتى من بعيدٍ ونحن نلعبُ على شاطئِ البحرِ ، فلم يصلْ إلى أبعدَ من عشراتِ الأمتارِ القليلةِ .. إذن أنا غيرُ حرٍّ فى أن أجعلَ صوتى يصلُ إلى الناسِ ! "

ضحكَ الجدُّ ثانيةً ، وقالَ : " عقلُ الإنسانِ اخترعَ التليفون والإذاعةَ والتليفزيون ، وأصبحَ من المُمكنِ أن يصلَ صوتُكَ ، وأن تصلَ صورتُكَ أيضًا ، إلى كلِّ مكانٍ في الدنيا . "

وعادَ الحفيدُ يقولُ : " وحاولْتُ أن أقفزَ عاليًا في الهواءِ ، فلم أستطعْ الابتعادَ عن الأرضِ إلا مسافةً بسيطةً ، بينما أصغرُ عصفورٍ يرتفعُ بسهولةٍ شديدةٍ عاليًا في الهواءِ !! "



قالَ الجدُّ : " عقلُ الإنسانِ الحرّ اخترعَ الطائرةَ ، فاستطاعَ أن يطيرَ بها على ارتفاعٍ لم يبلغْهُ أيُّ طائرٍ ظهرَ على وجهِ الأرضِ . "

وأضافَ الجدُّ : " لقد استطاعَ عقلُ الإنسانِ ، عن طريقِ العلمِ ، أن يجعلَ الإنسانَ حرًّا ، يملكُ من القدراتِ ما يفوقُ كلَّ ما تملكُهُ الكائناتُ الأخرى على الأرضِ . "

لا تأتوا عندى !!

اجتمعَتِ الأنهارُ مع البحرِ ، وأخذَتْ تشكو منه وتُعاتِبُهُ قائلةً : " لماذا نصبُّ فيك ماءَنا العذبَ الحلوَ ، فتجعلَهُ مالحًا لا يستطيعُ إنسانٌ أن يتذوَّقَهُ ؟ "

فلمَّا رأى البحرُ أن الأنهارَ تُلقِى اللومَ عليهِ ، قالَ : " إذن لا تَصُبُّوا ماءَكم عندى ، فلا تتحوَّلَ مياهُكم إلى ملحٍ لا يُحِبُّه أحدٌ !! "

ولمَّا كانَتِ الأنهارُ لا تعرفُ طريقةً للتخلُّصِ من الماءِ الفائضِ لديها إلا عن طريقِ صبِّهِ فى البحرِ ، فقد استمرَّتْ تصبُّ مياهَها فيه ، بعد أنْ كفَّتْ عن العتابِ والشكوى !!

